هديـــة المؤلف لدار الكتب السلطانية

كتاب

التحف البهية

في الآداب والأخلاق المرضية

تأليف

السيد عزمي

مدرس التاريخ والجغرافيا بوزارة المعارف الجليله سابقا

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

سنة ١٩١٧م
١٣٣٥هـ

مطبعة مكتبة التأليف بشارع عبدالعزيز بمصر

الحمد لله الذي خلق الانسان في أحسن تقويم . وخصه دون المخلوقات بشرف التكريم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين . وعلى آله وصحبه أجمعين . (أما بعد) فيقول السيد عزمي المدرس سابقاً بوزارة المعارف الجليلة . لما كان أبر الاعمال ما كان خالصاً لوجه الله تعالى لاسيما ماوقع منها في أوقات الفضيلة. وأفضل الاوقات شهر رمضان المعظم الذي هو شهر الله تعالى ، التمست عملاً اشغل فكري به في هذا الشهر المبارك نظراً لطول نهاره وشدة حره ولزوم الاعتكاف فيه راجياً أن يكون مشمولاً بمثوبة من الله تعالى ، فبينما أفكر في ذلك اذ خطر ببالي أن أجمع رسالة صغيرة في الحكم والآداب والمواعظ ، لأتحف بها أبناء وطني الاعزاء وكنت أستبعد ذلك لانى آنست من

نفسي العجز عن اتقان ما قد عزمت عليه وأحكامه لتركى مهنتي من زمن مديد ولكني توكلت على الله وبدأت في العمل مستعيناً به جلّ شأنه واستبشرت بما وقع نظري عليه بغتة وهو قوله تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله) فأصبحت مبكراً في أول يوم من رمضان وأنا منشرح الصدر حيث وفقني الله الى ماتاقت نفسي اليه وثابرت على عملي وجمعت ما طاب لي من محاسن الكتب وعززته بآيات قرآنية وأحاديث نبوية فما جاء آخر يوم من رمضان سنة ١٣٣٤ هـ الموافق لآخر يوم من يوليه سنة ١٩١٦ م إلا وقد تم ما قد شرعت فيه من العمل بعد أن أجليت غامض معانيه وسميت تلك الرسالة (**بالتحفة البهية فى الآداب والاعمال المرضية**) وقد جاءت بحمد الله طبق المرام ، واني اسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها قارئيها على الدوام انه سميع مجيب

التقوى

التقوى هي الخوف من الله تعالى وفعل ما أمر به وترك مانهى عنه ولذا حث الله عليها في عدة مواضع فقال (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) أي ييسر له أمره ويوفقه للعمل الصالح ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئآته ويُعظِم له أجراً

وقال تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب) لان الانسان له سفران سفر في الدنيا وسفر من الدنيا فالسفر في الدنيا لا بد له من زاد وهو الطعام والشراب والسفر من الدنيا لا بد فيه ايضاً من زاد وهو معرفة الله ومحبته والأعراض عما سواه وهذا الزاد خير من الزاد الاول لان زاد الدنيا يخلصك من عذاب موهوم وزاد الآخرة يخلصك من عذاب محقق ، وقال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) وقال تعالى

(يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)

وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)

وقال عليه الصلاة والسلام : اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن

وقال بعض الحكماء لولده اعلم ان العز في طاعة الله والذل في معصية الله والناس يتفاضلون بالعقل ويتميزون بالعمل ويسودون بالحلم ، ويتفاوتون بالعلم فعليك في دينك بالازدياد ، وفي دنياك بالاقتصاد

العلم والادب

العلم والادب هما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا ،

فالعلم فرّق مابين الانسان وسائر الحيوان وهو مادة للعقل وسراج البدن ونور القلب وعماد الروح فان العاقل اذا لم يعلم شيئاً كان كمن لا عقل له، وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى العلم اكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه . وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام اجعل العلم مالك والادب حليتك وقال عبد الله بن مسعود ان الرجل لا يولد عالماً وانما العلم بالتعلم

وقال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة

وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه

وقال موسى عليه السلام في مناجاته إلهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما

وقال بعض السلف رضي الله عنهم العلوم اربعة الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان والنحو للسان . سئل الشعبي عن مسئلة فقال لاعلم لى بها فقيل له الاتستحي فقال ولمَ أستحي مما لم تستحي الملائكة منه حين قالت لاعلم لنا

وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عدّ في الملكوت الاعظم عظيما

وقال ابراهيم الخليل عليه السلام العلوم اقفال والأسئلة مفاتيحها وقيل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره

وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بماء السماء . وقال رجل لابي هريرة أريد ان اطلب العلم وأخاف أن أضيعه قال كفاك بترك طلب العلم اضاعة له وقال الشاعر

العلم انفس شيء انت داخره

من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده

فأول العلم اقبال وآخره

قيل للخليل بن احمد أيهما افضل العلم أم المال قال العلم قيل له فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك والملوك لا يزدحمون على أبواب العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك وجهل الملوك بحق العلماء. وقال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الأدب كما تحتاج الأبدان الى قوتها من الطعام فالادب هو حلية النفوس وقد أدب الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام فأحسن تأديبه حيث قال جل شأنه له (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا) فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وامره بتوسط الحالتين وقد جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في كتابه المحكم ونظم له مكارم الاخلاق كلها في ثلاث كلمات فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ثم قال تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وقال تبارك وتعالى

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

وقال علي كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروءة صاحب في المجلس انيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وينال به الطالبون ماحاولوا .وقال عبد الملك ابن مروان لبنيه عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالاً وان استغنيتم عنه كان لكم جمالاً .وقال يحيى ابن اكثم ماشيت المأمون يوماً من الايام في بستان فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس فلما انتهى الى آخره واراد الرجوع اردت ان أدور الى الجانب الذي يستره من الشمس فقال لاتفعل ولكن كن بحالك حتى استرك كما سترتني فقلت يا أمير المؤمنين لو قدرت ان اقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس فقال ليس هذا من كرم الصحبة ومشى ساتراً لي من الشمس كما سترته

ويحكى ان رجلاً تكلم بين يدي المأمون العباسي فأحسن

فقال ابن مَن انت قال ابن الادب ياأمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه

قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدباً
يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول هأنذا
ليس الفتي من يقول كان أبي

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعاً وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريباً وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيراً. وقال بعض الشعراء لكل شيء زينة في الورى * وزينة المرء تمام الادب قد يشرُف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب

قيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا ادب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق وقيل احسن الادب ان لا يفتخر المرء بأدبه واذا فاتك

الادب فالزم الصمت فهو من اعظم الاداب

قال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان اديبا كان نقص ابيه زائداً في منزلته وابن الشريف اذا كان غير اديب كان شرف ابيه زائدا في سقوطه

واوصى بعض الحكماء بنيه فقال الادب اكرم الجواهر طبيعة وانفسها قيمة فالبسوه حلة وتزينوه خلة يؤنسكم في الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة

العقل والذكاء

قال ابو حنيفة العقل جوهر مضيء خلقه الله عز وجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وقال الشافعي انه في القلب بدليل قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها . وقال افلاطون عقول الناس مدونة فى اطراف اقلامهم وظاهرة فى حسن اختيارهم . وقال يحيى بن خالد الناس يكتبون احسن مايسمعون ويحفظون احسن مايكتبون ويتحدثون بأحسن مايحفظون

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقال عز من قائل وعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً اعز علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك احاسب وبك اعاقب

والعقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلها فاما الاول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء واما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ اكمل عقلا واتم دراية وان صاحب التجارب اكثر فهما وارجح معرفة وقد يخص الله تعالى من يشاء من عباده رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوي التجارب والاداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما اخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول (وآتيناه الحكم صبيا) والعقل

لايمكن مشاهدته فان المشاهـدة من خصائص الاجسام ويستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته في اسداء صنائع المعروف وتجنبه مايكسبه عاراً ويورثه سوء السمعة

وقد قيل لبعض الحـكماء بما يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه في الـكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له وان كان غائبا فقال باحدى ثلاث امابرسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر مايكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها . واما أكبر الاشـياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعةوتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس

وقال بعض الحـكماء لاشيء احسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق وقال ايضاً رأس العقل مناهضة الفرصة عند امكانها والانصراف عما لاسبيل

اليه . وقالوا العين باب القلب فما كان في القلب ظهر في العين .
وكتب حكيم الى حكيم اذا اردت معرفة مالك عندي فضع يدك على صدرك فكما تجدني كذلك اجدك

وقال محمود الوراق .

لا تسألن المرء عما عنده واستمل مافي قلبه من قلبكا
ان كان بغضاً كان عندك مثله
وان كان حباً فاز منك بحبك

ويروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم اخلاق مطهرة
فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين عاشيها

والعين تعلم من عيني محدثها
ان كان من حزبها أو من أعاديها

وأما الحمق فمذموم وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة أعيت من يداويها

وقال عليه الصلاة والسلام الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل

وقال عيسى عليه السلام عالجت الأبرص والأكمة فأبرأتهما وعالجت الأحمق فأعياني والسكوت عن الاحمق جوابه ، وقال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخاً له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة فأردت ان اختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعرفت قلة عقله وكثرة جهله

السودد (السيادة)

قيل لعدى بن حاتم ما السودد قال السيد الاحمق في

ماله الذليل في عرضه المطرح لحقده . وقال رجل للاحنف بم سودك قومك وما أنت بأشرفهم بيتاً ولا أصبحهم وجهاً ولا أحسنهم خلقاً . قال بخلاف مافيك يا ابن أخي قال وما ذاك قال بتركي من أمرك مالا يعنيني كما عناك من أمري مالا يعنيك

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل من سيد قومك قال أنا قال كذبت لو كنت كذلك لم تقله

وقال بن الكلبي قدم أوس بن حارثه بن لأم الطائي وحاتم بن عبد الله الطائي على النعمان بن المنذر فقال لاياس ابن قبيصة الطائي ايهما أفضل قال ابيت اللعن ايها الملك اني من احدهما ولكن سلهما عن أنفسهما فانهما يخبرانك فدخل عليه أوس فقال انت أفضل ام حاتم فقال أبيت اللعن ان أدنى ولد حاتم أفضل مني ثم دخل عليه حاتم فقال له انت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن ان ادنى ولد لأوس افضل مني فقال النعمان هذا والله السوددد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الابل وقالوا يسود الرجل بأربعة اشياء، العقل

والأدب والعلم والمال . قال ابن الكلبي قال لي خالد القسري ما تعدون السودد قلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في الأسلام فالولاية وخير من ذا وذلك التقوى قال صدقت كان ابي يقول لم يدرك الاول الشرف الا بالعقل ولم يدرك الآخر الا بما ادرك به الأول قلت له صدق ابوك انما ساد الأحنف بن قيس بحلمه ومالك ابن مسمع بحب العشيرة له وقتيبة بن مسلم بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال كلها فسودد الرجل بنفسه

قال النبي صلى الله عليه وسلم من اسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه

وقالت عائشة رضي الله عنها كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به . تريد أن اولى الامور بالانسان خصال نفسه وان كان كريماً وآباؤه لئام لم يضره ذلك وان كان لئيماً وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام فاعجبه ماسمع من كلامه فقال له ابن من أنت قال انا ابن نفسي يا أمير

المؤمنين التي بها توصلت اليك قال صدقت فأخذ الشاعر هذا المعنى وقال

مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى ولا أنا عربي
اذا انتمى منتمٍ الى أحد فانني منتمٍ الى أدبي

تهذيب الاخلاق

تهذّب الأخلاق بالآداب الدينية لأن الدين يصرف النفوس عن شهواتها والقلوب عن أهوائها زاجراً للضمائر رقيباً على النفوس فبهذا المعنى كان الدين أقوى قاعدة في اصلاح الدنيا واستقامتها ذلك لأن الدين المبني على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يدَع شيئاً من الفضائل الا أمرنا به أو استمالنا اليه ولا شيء من السيئات إلا كلفنا باجتنابه أو عدم التعويل عليه فاذا قمنا بأداء الواجبات وترك المحظورات كنا من الذين قال في حقهم المولى سبحانه وتعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

هذا وان من تهذبت اخلاقه وعرف ربه واتبع أوامره واجتنب نواهيه هداه الله الى ما فيه صلاح حاله في الدنيا والآخرة واستقامت له الأمور وواصل الناس بره ومعروفه وعمر الارض واتجر ونفع وانتفع ولا يخفى ما في ذلك من عمار الكون ونحو هذا مما لا يدخل تحت حصر نسأل الله التوفيق لما يرضيه

القناعة والرضا بما قسم الله

قال عليه الصلاة والسلام القناعة مال لا ينفد وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شيء من ارزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم انكم اكبر بطوناً من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها

وصلى معروف الكرخي خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى اعيد صلاتي التي صليتها خلفك قال ولمَ قال لأن من شك في رزقه شك في خالقه

وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لو لم نعش الا من حيث نعلم لم نعش . وقال بعضهم

هي القناعة فالزمها تعش ملكا
لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال عليه الصلاة والسلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يا بنيّ اذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة فانها مال لا ينفد وإياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شيء الا اغناك الله عنه

وقيل للأسكندر ما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها

ومن كلام الحكماء أياكم وطول الامل فان من ألهاه

أمله أخزاه عمله وقال بعضهم من أراد ان يعيش حراً ايام حياته فلا يسكن قلبه الطمع

الفضيلة

الفضيلة هي صفة نفسية متمكنة في نفس الانسان ينشأ عنها العمل الصالح فبها تصل النفس الى أعلى درجات الكمال ومن أركانها الشجاعة وقوة الجسم والعقل وهذه الصفات مهمة جداً في الفضيلة فهي الوسائل التي تلزم لحفظ الانسان وتحسين حاله لأن الشجاع يدفع الضيم عن نفسه ويذب عن دمه وعرضه وحريته بقدر استطاعته ويعمله وشغله يكسب عيشته الهينة ويتمتع باللذات المباحة وتكون نفسه دائماً متمتعة بالسلم والراحة بعيدة عن الغضب والانتقام ولذا عدّ ارباب الآداب القوة والشجاعة من أعظم الاركان

وتنقسم الفضيلة الى ثلاثة أقسام شخصية ومنزلية وأهلية (مدنية) فالفضيلة الشخصية ماينبغي ان يتصف بها كل انسان لتكون وسيلة لحفظه ومادة لصونه ومنها ينتج

حفظ العائلة والجمعية المركبة من افراد الناس . والفضيلة المنزلية هي سلوك الطريقة النافعة في العمل لجمعية العائلة كالاقتصاد في النفقات وبر الوالدين وحسن العشرة مع الازواج وحسن تربية الاولاد ومحبة الأخوة بعضهم لبعض فجميع الفضائل الشخصية والمنزلية لازمة لحفظ النوع البشري وتحسين حاله وهي مخلوقة مع الانسان من اصل الفطرة . والفضيلة الاهلية راجعة الى اصل واحد وهو العدل العمومي والانصاف المشترك بين أعضاء الجمعية ومتى تجاوزت الحد الوسط كانت مذمومة فالشجاعة ان تجاوزت حدها استحالت الى المجازفة والكرم ان تجاوز حده عادَ إسرافا والصبر ان زاد عن قانونه اضعف الشهامة والحلم ان زاد عن حده صار جبناً فالفضائل عليها مدار سلوك الجمعية ونجاح أعمالها . وضدها يضر بتقدم الجمعية فلا اضر على الجمعية من فساد الاخلاق فقد ينشأ عنه الكبر وعدم الاستقامة فالعاقل يقيد نعمته بقيد التواضع والانكسار ويدبرها بقانون الفضيلة لتدوم فبهذا يكون مستقيم الحال فان الاستقامة

قوام الفضائل وعليها مدارها وهي ميزان حركة النفس وخلوص النية التي تحسن بها الأعمال فهي روابط جميع الفضائل

فليست استقامة الانسان الا احترام حقوقه باحترام حقوق غيره والحصول على منافعه بالوفاء بمنافع غيره

فقد اتفقت الاخلاق والعادات والشرائع والأحكام على ان مكارم الاخلاق منحصرة في قوله عليه الصلاة والسلام (لا يؤمنُ احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .) لأن الرجل الصالح المستقيم الحال لا يقتصر على الكف عن فعل الشر بل يرى ان الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف فمن لم يصنع المعروف في موضعه مع التمكن منه لا يعد صالحاً فالاستقامة تنهي عن الشر والصلاح يأمر بالخير

المروءة

المروءة هي حلية النفوس وزينة الهمم وهي مُجاراة النفس على افضل احوالها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم

ووعدهم فلم يُخلفهم فهو ممن كملت مروءته ووجبت أخوته وحُرمت غيبته) ويلازم صاحب المروءة شيآن علو الهمة وشرف النفس فأما علوّ الهمة فانه باعث على التقدم واستكبار المهانة واما شرف النفس فبه يكون قبول التأديب وتقويم التهذيب فاذا تجرد شرف النفس من علوّ الهمة كان الفضل به عاطلا حتى قيل أن شرف النفس مع صغر الهمة اولى من علوّ الهمة مع دناءة النفس لأن من غلبت عليه همته مع دناءة نفسه كان متعدياً الى طلب ما لا يستحقه ومن شرُفت نفسه مع صغر همته فهو تارك لما يستحقه والفرق بين الأمرين ظاهر

قال انوشروان الكامل المروءة من حصن دينه ووصل رحمه واكرم اخوانه . وقال بعض الحكماء كامل المروءة من أحب المكارم واجتنب المحارم . فالبر الحقيقي المذكور في قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) حليف المروءة الكاملة

قال عليه الصلاة والسلام (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح

يدعو له) ورواه الامام مسلم اذا مات المسلم بدل ابن آدم

فقد حث الحديث على ثلاث فضائل جامعة شاملة لأساس الدنيا والدين في حق صاحب العمل كأن صاحب العمل حي بعمله فهذه الفضائل مخلدة للذكر مؤبدة للأجر وبضدها تتميز الاشياء فأن من لا صدقة له في حياته ولا علم ولا ذرية فعمله مقطوع من أصله فهو ميت الأحياء حيث انه عديم الفضائل الثلاثة وقال ايضاً لادين الا بمروءة وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه المروءة مروءتان مروءة ظاهرة ومروءة باطنة فالمروءة الظاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف . وقدم وفد على معاوية فقال لهم ما تعدون المروءة قالوا العفاف واصلاح المعيشة قال لابنه اسمع يا يزيد وقيل للاحنف ما المروءة قال العفة والحرفة وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما انا معشر قريش لا نعد الحلم والجود سوددا ونعد العفاف واصلاح المال مروءة وقال العتبي عن أبيه لا تتم مروءة الرجل الا بخمس ان يكون عالما صادقا عاقلا ذا بيان مستغنيا عن الناس

الشجاعة

الشجاعة هي سعة الصدر بالاقدام على الامور وهي عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة الا ان الرأي مقدم عليها

قال بعض اهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذي يشد اذا شدوا واما الشجاع فالداعي الى البراز والمجيب داعيه الى ذلك والبطل الحامي لظهور القوم اذا ولوا والعرب تسمى ذلك كله شجاعة واول مراتب الشجعان الهمام لاهتمامه وعزمه ثانيها المقدام لاقدامه وهو ضد الاحجام ثالثها الباسل من البسالة وهي الجراءة والشدة رابعها البطل اي الذى يبطل فعل الاقران ويطفيء شجاعة الشجعان خامسها الصنديد وهو الذي لا يقاومه مقاوم. وحكم الشجاعة وثمرتها الاقدام في موضع الأقدام والثبات في موضع الثبات والزوال في موضع الزوال وضد ذلك بخل بالشجاعة وقالوا الحرب كالنار ان تداركت اولها خمد اضرامها وان استحكم

اضرامها صعب اخمادها وهذا معنى قولهم ينبغي ان تتغدى بالعدو قبل ان يتعشى بك

ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلاولا يغفل عنه وان كان حقيراً فكم برغوثاً اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكاً جليلاً وقال الشاعر

فلا تحتقرن عدواً رما
ك وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقا
ب وتعجز عما تنال الأبر

وقال انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اشجع الناس قلباً وقال عمران بن حُصين ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب وقال الحكماء اصل الخير كله في ثبات القلب وهو الشجاعة واعظم الجند شجاعة واقواهم جأشاً من اذا انهزم اصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويقوى قلوب اصحابه حتى ييأس العدو منهم

ومن اكرم الكرم في الشجاعة الدفاع عن الحريم وقد اعترف الجميع لابي بكر الصديق رضي الله عنه بقوة الجأش والصبر في المواطن الكريهة. وكان عمر رضي الله عنه موسوماً بالشدة والشجاعة كان يضع يده اليمنى على اذن فرسه اليسرى ويجمع بدنه ويثب على ظهرها كأنما خلق عليها . وكان عليّ رضي الله عنه شجاعاً بطلاً اذا ضرب لا يثني وكذلك الزبير ابن العوام معدود من شجعان الفرسان قالوا لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فارس اشجع من الزبير ولا راجل اشجع من الامام عليّ كرم الله وجهه ومن شجعان الانصار معاذ ابن عفراء قطع كتفه يوم بدر فبقى معلقاً بجلده فلم يزل يقاتل جميع يومه وهو معلق حتى وجد المه فوضع رجله على يده وتمطى حتى قطع الجلدة

ولم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام اشجع من خالد ابن الوليد ولشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله لم ينهزم في جاهلية ولا في اسلام ومات على فراشه

وقال عبد الله بن الزبير التقيت بالاشتر يوم الجمل فما

ضربته ضربة حتى ضربني خمساً او ستاً ثم اخذ برجلي فالقاني في الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو الى آخر وكتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الازارقة فكتب اليه ان من البلية ان يكون الرأي بيد من يمتلكه دون من يبصره

وقالت عائشة ام المؤمنين ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء فأف للجبناء

وقال الشاعر

يفرجبان القوم عن أم نفسه

ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

ويرزق معروف الجواد عدوه

ويحرم معروف البخيل اقاربه

وقد ارشد الله عباده المجاهدين بخمسة اشياء ما اجتمعت في فئة قط الا نُصرت وهي مجموعة في قوله تعالى (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) احدها الثبات ثانيها كثرة

ذكره سبحانه وتعالى ثالثها الطاعة رابعها اتفاق الكلمة خامسها الصبر فهذه الخمسة تبنى عليها قبة النصر

ولما اجتمعت هذه القوى الخمس في الصحابة لم تقم في وجههم امة من الأمم حتى فتحوا الدنيا ودانت لهم البلاد والعباد ولما تفرقت فيمن بعدهم آل أمرهم الى ما آل اليه

الصبر

الصبر هو حبس النفس على تحمل الشدائد وقد مدحه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في مواضع كثيرة فمن ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) فبدا بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين وأمر نبيه عليه الصلاة والسلام به فقال تعالى (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وقال عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج . وروي عن عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لايخافن احدكم الا دينه ولا يرجو الا ربه ولا يستحي أحدكم اذا سئل عن شيء وهو لايعلم ان يقول لا أعلم

واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا . وقال موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب

الى الله كل الامر في الخلق كلهم
وليس الى المخلوق شيء من الامر
تعوّدت مس الضر حتى ألفته
وأسلمني طول البلاء الى الصبر
ووسع صدري للأذى الانس بالاذى
وان كنت أحياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجيا
لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا

بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل(فاصبر كما صبر أولى العزم من الرسل) وانى والله لاصبرن كما صبروا

التمدين

للتمدين قسمان اصليان معنوي ومادي فالمعنوي هو التمدين في الاخلاق والعادات والآداب ولا يكون ذلك الا باتباع الدين والشريعة

والمادي هو التقدم في المنافع العمومية كالزراعة والتجارة والصناعة ويختلف قوة وضعفاً باختلاف البلاد ومداره على ارتقاء الامة في العلوم والحضارة وممارسة العمل وصناعة اليد وهو لازم لتقدم العمران وليس التمدين زينة الملابس

حب الوطن

حب الوطن من الايمان كما قيل وقال علي رضي الله عنه سعادة المرء ان يكون رزقه في بلده فالوطن محبوب ومنشأه مألوف

مفرد

ولي مذهب حب الديار لأهلها

وللناس فيما يعشقون مذاهب

حب الوطن فضيلة جليلة لا يؤدي حق الوفاء بها الا من حاز الشمائل النبيلة لا سيما اذا كان الوطن منبت العز والسعادة كديار مصر فهي اعز الأوطان لبنيها

وقال عبد الله بن عمر اهل مصر اكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يداً وأفضلهم عنصراً واقربهم رحماً بالعرب عامة وبقريش خاصة (يشير الى هاجر ام اسماعيل والى مارية ام ابراهيم فانهما من مصر) وبالجملة فهي بلد طيبة مباركة كيف لا وهي بلد العلم والحكمة ومنها خرج العلماء والحكماء الذين عمروا ممالك الدنيا بتدبيرهم وحكمتهم وفنونهم وصنائعهم ولم تزل الى الآن يهرع اليها طلبة العلم من سائر الاقطار

وكفاها فخراً انها تسمى خزائن الارض كما حكاه الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله لملك مصر (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) وقال تعالى مخبراً عن

فرعون (اليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي افلا تبصرون) اما الانهار فكان لها قناطر وجسور بتدبير عجيب حتى ان الماء تجري من تحت منازلها فيحبسونه كيف شاؤا وهذا هو عين التمدين اذ لا يكون ذلك الا بتقدم الصنائع والفنون ويؤيده بقايا الآثار المشاهدة التي لا مثيل لها في غير مصر مع ما انمحى منها قال تعالى (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) هذا فضلاً عن مركزها العظيم للتجارة بين اهل المشرق والمغرب فلا غروَ ان يأتي لها زمان يصير فيه تمدينها راسخ القدم

فكل مملكة تأخذ حظها من التمدين مدة قرون بحمية أهلها ومغالاتهم في حب الأوطان

ومن حب الوطن ما حكى عن سيدنا يوسف عليه السلام انه اوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع اهل مصر أولياؤه من ذلك فلما بُعث موسى عليه السلام واهلك الله فرعون حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالأرض المقدسة

وأوصى الاسكندر ان تحمل جثته في تابوت من ذهب

الى بلاد الروم حباً لوطنه وكان ابو اسحاق يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وانا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام

الثروة

منابع الثروة ترجع الى اربعة اشياء وهي الزراعة والتجارة والصناعة وتنمية الحيوانات . والأمارة هي القوة المدبرة لهذه المنافع وأفضل هذه الأشياء الزراعة لانها اطيب الجميع حيث هي الى التوكل أقرب والله يحب المتوكلين

وانما كانت الزراعة أفضل لأن نفعها يتعدى الى غير الزارع من الطيور والبهائم وكثير من الحيوانات وما كان متعدياً فهو أفضل

وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه انسان أو دابة أو طير الا كانت له صدقة يوم القيامة وقال تعالى (افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) ثم ان الحرث هو اول عمل في الزرع

ومقدماته من شق الأرض وردّها وخدمتها. والقاء البزر فيها وسقى البزر . والزرع أواخر الحرث اذ لا يكون الا لمن اتى بالأمر المتأخر وهو القاء البزر لأنه بمجرد الالقاء في الأرض يجعل الزرع الملقى . يعني ان الناس يكتسبون ارزاقهم باستخراج ما يحتاجون اليه لمنفعتهم من الأرض فالفضل للعمل واما فضل الأرض فهو ثانوي وهذا هو الذي يعتمده اهل الفلاحة فالمدار على العمل اذ هو منبع السعادة الأصلي وحيث أن الاعمال هي أسباب السعادة والثروة ومنبع الاموال فالارض الزراعية انما هي مورد للأعمال مساعد والارض المخصبة بدون العمل لاتنتجّ شيئاً والارض المجدبة بكثرة العمل تخصب وتنتج النتائج الجمةَ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام افضل العمل أدومه وان قلّ . وفي التوراة حرك يدك افتح لك باب الرزق

وقد كان الانبياء والسلف الصالح يعيشون من كسب ايديهم ويحترفون وقال عمر رضي الله عنه لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء

لا تمطر ذهباً ولا فضة وان الله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض وتلى قوله تعالى (فاذا قُضِيَتِ الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) ومما جاء في الحث على العمل قوله تعالى لمريم (وهزي اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) وقد قيل في هذا المعنى .

ألم تر أن الله قال لمريم
وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء ان تجنيه من غير هزها
جنته ولكن كل شيء له سبب

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي هريرة ألا تعمل فقال لا اريد العمل قال قد طلب العمل من هو خير منك يوسف عليه الصلاة والسلام قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم

وكان أغلب الملوك والسلاطين يتخذون لهم صنائع يتكسبون بها وينفقون منها فلا مجد الا بالمال والآمال متعلقة

بالأموال والمال اصل السودد والرياسة لأن القلوب لا تستمال الا بالمال . قال الشاعر

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمةً

ان الجلوس مع العيال قبيح

فالمال فيه مجلةٌ ومهابة

والفقر فيه مذلة وفضوح

وحسبك ترك العمل ذماً أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الكسل

وبالجملة فالامل مغناطيس العمل وخير الأمل انتظار الحمد والشكر وحب الفخار ودوام الذكر ولو لا ذلك لما كان اجتهاد ولا استنباط ولا كسب ولا اختراع ولا ابتداع ويحسن بالعاقل أن لا يعمل فكره الا فيما يخلد ذكره

مفرد

نافث على الخيرات اهل الملا فانما الدنيا احاديث

فقد توارع العقلاء على اختلافهم بامعان الأنظار واعمال

الافكار في امور يظهر للعامة انها حقيرة وهي عند اذكياء الخاصة خطيرة

اذا لم يكن الا الأسنة مركبا

فلا أرى للمضطر الا ركوبها

فمن اخترع حكمة بذكائه وفكره كانت سبباً لبقاء ذكره

قال بعضهم :

يا نفس ذوقي لذة العمل

وواظبي العدل والاحسان في مهل

فكل ذي عمل بالخير مغتبط

وفي بلاء وشؤم كل ذي كسل

وقيل :

وكم حياء وكم عجز وكم ندم جم تولد للانسان من كسل

فصفة الكسل ام الخبائث فهي تحمل صاحبها على عدم اعمال الفكر والبدن والافاضل يعدون ذلك من النذالة والسفالة فان فضل الكسلان يدفن معه بدون ان تعود منه على نفسه أو غيره ادنى منفعة

واوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال فاذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقاً وأساء به الظن من كان ظنه به حسناً

وقال لقمان لابنه يا بني شيئان اذا انت حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما دينك ليعادك ودرهمك ليعاشك وقال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا) وقال عمر بن الخطاب حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروءته خلقه وقالت الحكماء لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ويحمي به مروءته ويصل به رحمه

الجود والكرم

الجود هو التبرع بالمال والعطية قبل السوآل وقيل في هذا المعنى

وما الجود من يعطي اذا ما سألته

ولكن من يعطي بغير سؤال

ولو لم يكن في الكريم الا انه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها فهو الكريم عزّ وجل ومن كان كريماً من خلقه فقد تسمى باسمه لكفى قال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر انك قد اسرفت في بذل المال قال بأبي وأمي انما ان الله قد عودني أن يتفضل عليّ وعودته أن اتفضل على عباده فأخاف ان اقطع العادة فيقطع عني يقول الله عزّ وجل (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويبغض سفسافها

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقه الله رزقاً حسناً فلينفق منه سراً وجهراً حتى يكون اسعد الناس به وأنما يترك ما ترك لأحد رجلين اما لمصلح فلا يقل عليه شيء واما لمفسد فلا يبقي له شيء وقال عبد الله بن عباس سادات الناس في الدنيا الاسخيا وفي الآخرة الاتقياء وقالوا السخي من كان مسروراً ببذله متبرعاً بعطائه لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ويكون مثله

فيما أعطى مثل الصائد الذي يلقي الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه

وكان كسرى يقول عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن بالله وقالت الحكماء لا تطلب حاجتك من كذاب فأنه يقربها بالقول ويبعدها بالفعل ولا من أحمق فانه يريد نفعك فيضرك

وقد دخل رجل من الشعراء على يحيي بن خالد بن برمك فأنشده

سألت الندى هل انت حر فقال لا
ولكن عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء فقال لا بل وراثة
توارثني عن والد بعد والد

فأمر له بصلة

المنافع العمومية وأسباب المعايش

قد اقتضت الحكمة الالهية ان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في ارض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض فلا

تكتسب الا بالأسفار وجوب مفاوز البراري والبحار فالمسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب

وأما أسباب المعايش فتنقسم الى اربعة أقسام كما قال الخليفة المأمون العباسي معايش الناس على اربعة أقسام زراعة وصناعة وتجارة وأمارة

مفرد

كل له غرض يسعى ليدركه
والحرُّ يجعل ادراك العلا غرضه

فالمنفعة اذاً هي اكتساب المال من غير مهانة ولا عسف وانفاقه في المصارف الحميدة العاقبة الجميلة الذكر وهذه المنافع اذا وجدت في مملكة دامت متى روعي فيها العدل والانصاف وترك الأسراف والتبذير عملاً بقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) فالممدوح هو العدل في الانفاق

الأسفار من وسائل التقدم

اعلم ان الطريقة الموسعة لدوائر المعيشة قديمة قضت

بسلوك طريقها في الأزل الحكمة الالهيـة فقال تعالى في كتابه العزيز (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) فالله سبحانه وتعالى عودهم رحـلة الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة الصيف الى الشام للتجارة ونبه تعالى بقوله إيلاف على ان من شرط السفر المؤانسة والألفة لان السفر احوج الى مكارم الاخلاق من الاقامة ولما كان هذا الأيلاف انعاماً من الله تعالى عليهم وأنه يستحق ان يقابل بالشكر والعبودية اتبعه سبحانه وتعالى بطلب العبودية فقال فليعبدوا رب هذا البيت والمعنى ليتركوا ماهم عليه من عبادة الاوثان ويعبدوا رب هذا البيت اي الحرم وقوله الذي أطعمهم من جوع أي رزقهم بالطعام في السفر والمقام وقوله وآمنهم من خوف أي حماهم حيث جعلهم أهل حرم آمن فكانوا يسافرون آمنين لايتعرض لهم احد ولا يغير عليهم أحد لا في سفرهم ولا في حضرهم

وقد اطعم الله تعالى قريشاً وآمنهم انعاماً منه تعالى واجابة

لدعوة ابراهيم عليه السلام في قوله (رب اجعل هـذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات)فكانت رحلة الشتاء والصيف بها ميرتهم ومعيشتهم وثروتهم هذا ما يتعلق بقريش

واما العرب على الاطلاق فكانوا من الأزمان القديمة يسيحون في الأرض سوقة وملوكاً حتى بلغوا اقصى المغرب ودخلوا بلاد الهند وقد ثبت بالعقل والنقل ان العرب اكثر الامم شجاعة ومروءة وشهامـة ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للمعاني وهم الذين فتحوا بلاد الدنيا وأعزوها بالاسلام ومدينوها بالعلوم

وقد سافر النبي صلى الله عليه وسلم في تجارة لخديجة رضي الله عنها ودخل مدينـة بصرى باقليم حوران ببلاد الشام ثم باع عليه الصلاة والسلام تجارته وربح ربحاً عظيماً وكان معه ميسرة غلام السيدة خديجه فلما رجع مكة واخبر خديجة بربح التجارة سرت بذلك وكانت رضي الله عنها امرأة شريفة في قومها وكانت كثيرة المال وقـد شرفها الله تعالى بزواج أشرف العالمين عقب التجارة الرابحة فما أحسن الاسفار

التي أفادت المال وعادت بتحسين الأحوال ونتج عنها نتائج جليلة اعقبت أهل البيت الطاهرين أبناء فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى سيدة نساء العالمين وهي أول من آمن به على الاطلاق وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسافر خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد

ولما ظهر الاسلام واستولى العرب بالفتوحات على كثير من ممالك الدنيا براً وبحراً تأهلوا لقبول التمدين فتصدوا للأسفار البحرية واظهروا الحروب وفازوا بظفر الفتوح فركبوا السفن وجندوا الجنود وشنوا الغارات واستداموا على تجشم الأخطار واقتحام البحار للتمتع بالتجارة واخترعوا بيت الأبرة التي أعانت على الاسفار فكانت تجارتهم تنمو وتزيد في البحر المتوسطة وقد لاحت أعلام الخلفاء على بحر الهند فتصدى تجار العرب للتجارة في جميع

البلاد فامتدت تجارتهم الى جبل طارق والفرس والهند والصين وصار لهم مراكز تجارية في تلك الاقاليم

وفي عهد الدولة العباسية تهذبت العلوم وانتظم امر التجارة وصارت المراكب تجول في البلدان وتسير الى جزائر الهند وبوغاز ملقه فكانت تجارتهم في كل جهة وفي كل مكان وكثرة السياحات العربية في سائر البلاد البرية فارتفع بذلك شأن التجارة عند العرب حتى كانت اعظم شيء يشتغل به في اصلاح المعاش وعقدت المعاهدات مع الدول الأجنبية الاوربية في شأن الملاحة ببلادهم لحسن استقامة اهل الاسلام في المدن الاجنبية لا سيما الممالك التي على البحار وبالتجارة علت احوال الصنائع كلها عند العرب وصار جلب المصنوعات العربية من مصانعها الى اطراف الدنيا جميعها

ومن المصنوعات النفيسة التي سبق بها العرب غيرهم صناعات الساعات كالساعة التي اهداها الرشيد الى كرلوس الاكبر ملك الأفرنج فكانت اذ ذاك من نوادر العصر وكالأقمشة الموصلية والسيوف الدمشقية وهذا غير اختراع

ما لايحصى من العلوم والفنون

السياسة

هي الألتفات الى جذب النفوس الى المنافع العمومية فمدار انتظام العالم على السياسة وهي خمسة أقسام الأول السياسة النبوية والله يختص بها من يشاء من عباده الثاني السياسة الملوكية وهي حفظ الشريعة على الأمة واحياء السنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الثالث السياسة العامة وهي الرياسة على الجماعات كرياسة الامراء على البلدان أو على الجيوش وترتيب احوالهم على مايجب من اصلاح الامور واتقان التدبير والنظر في الضبط والربط الرابع السياسة الخاصة وتسمى السياسة المنزلية وهي معرفة كل انسان حال نفسه وتدبيره أمر بيته وما يتعلق به وقضاء حقوق اخوانه شرعاً وعرفاً وهذه السياسة في الغالب لايحسنها الا أشراف الناس الخامس السياسة الذاتية وهي تفقد الانسان أفعاله وأحواله وأقواله واخلاقه وشهوته فان المرء حكيم نفسه

واعظم الملوك من يتمسك بهذه السياسات الخمسة لينزه

بها وطنه عن النقائص ويحلى بها نفسه . لان تفاضل الانفس انما هو بقدر تحصيلها من الفضائل التي يظهر بها التفاوت في القيم وذلك بمقدار ترافع الهمم قال الله تعالى (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) قيل ان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتني غضبان فادفع اليّ رقعة بعد رقعة وكان في الاولى انك لست بأله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضاً وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك . وقال عبد الله ابن عمر اذا كان الامام عادلاً فله الاجر وعليك الشكر واذا كان جائراً فله الوزر وعليك الصبر . وقالت الحكماء احزم الملوك من قهر جده هزله وغلب رأيه هواه وأعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده

فالملوك في الظاهر حكام وفي الباطن حكماء . يقال انه كان بين يدى الاسكندر كرة مثمنة من الذهب وضعها له الحكيم ارسطاطاليس على كل وجه منها كلمة سياسية تتعلق

كل واحدة منها بالأخرى لتكون بين يديه يقلبها في حركاته ويعمل بما فيها وهي هذه : العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان يحفظها السنة السنة شريعة يحوطها الملك الملك راع يعضده الجند الجند اعوان يكلفهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعيـة خدام يتعبدهم العدل العدل مألوف وبه صلاح العالم

فحقيق لمن قلده الله امر عباده وبلاده أن يعطف عليهم ويعدل فيهم وينصف ضعيفهم من قويهم ويساوي في الحق بين شريفهم ومشروفهم ويبتدي أولاً بالأنصاف من نفسه وولده وأهله وخاصته فالناس على دين الملك بمعنى أنهم يتبعونه في أحواله وأفعاله ولذلك لما قدم يزيد بن بشير من الشأم على عمر بن عبد العزيز وكان على شرطته فقال له كيف تركت الشأم قال تركت ظالمهم مقهوراً ومظلومهم منصوراً وغنيهم موفوراً وفقيرهم محبوراً (اي مسروراً) فقال عمر الله اكبر لو كانت لا تتم خصلة من هذه الا بفقد عضو من اعضائي لكان ذلك يسيراً

وبالجملة فالسعي في آداء الحقوق الوطنية منحة إلهية يمنحها الله سبحانه وتعالى من يصطفيه من خلقه فانها مرتبة جسيمة ونعمة عظيمة فيجب علينا ان نقيدها بشكر المولى سبحانه وتعالى على انعامه بها علينا . ولقد كان السلف الصالح كالفضيل بن عياض والأمام احمد بن حنبل وغيرهما يقولون لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها لِولي الأمر لأن في اصلاحه صلاح المسلمين اصلح الله حال ملكنا وسلطاننا وسائر الملوك والسلاطين آمين

ولاة الأمور

هم قوام الدين والدنيا وعليهم حركة الأعمال وبدونهم يختل نظام العالم لوجود المفسدين من بني آدم فلولا ولي الأمر لما قدر العالم على نشر علمه ولا الحاكم الشرعي والسياسي على تنفيذ حكمه ولا العابد على عبادته ولا الصانع على صناعته ولا التاجر على تجارته ولولاهم لكثرت الفتن والشرور ولتغالبت الناس وطمع بعضهم في بعض واستولى الأقوياء على الضعفاء وتمكن الأشرار من الأخيار فيضطرون الى

التشرد والتفرد وفي ذلك خراب البلاد وفناء العباد فالملك كالروح والرعية كالجسد ولا قوام للجسد الا بروحه ولكن من لطف الله تعالى بعباده ان ينصب في الأرض من ينصف المظلوم من الظالم ويردع اهل الفساد عن المظالم ويصنع للرعية جميع المصالح ويقابل كل احد بما يستحقه من صالح وطالح

فوليّ الأمر هو رئيس امته وصاحب النفوذ الأول في دولته وحاكم متصرف بالأصول المرعية في مملكته ولا توجد رعية في مملكة بدون راع والا ضعفت واختلت وشقي اهلها لعدم من يسعى في اسعادهم بتحسين شؤنهم

وقد تاسست الممالك لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الأحكام والحرية وصيانة النفس والمال والعرض على موجب أحكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية فالملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين

ولما كانت السياسة جسيمة لا يقوم بها واحد اختص الملك بمعالي الأحكام وكلياتها وخلع بعض نفوذه في جزئيات

الأحكام على المحاكم والمجالس وجعل لهم لوائح وقوانين خصوصية ترشدهم الى اعمال لا يتعدونها . قال جل شأنه (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) فالعدل اول واجبات ولاة الأمور وهو وضع الأشياء في مواضعها واعطاء كل ذي حق حقه والمساواة في الأنصاف بميزان القوانين . قال بعض الحكماء اذا نطق لسان العدل في دار الأمارة فهو بشرى لها بالعز وعلى السعادة أمارة

فتدبير الملوك امر العباد والبلاد بالعدل ارفع لذكرهم وأعلى لقدرهم قال اكثم بن صيفي لكسرى انو شروان حينما اوفده النعمان بن المنذر مع من أوفد أن افضل الأشياء أعاليها وأعلى الرجال ملوكهم وأفضل الملوك أعمها نفعاً وخير الأزمنة أخصبها وخير القول أصدقه الصدق منجاة والكذب مهواة

سأل الأسكندر حكماء اهل بابل هل الشجاعة عندكم ابلغ او العدل فقالوا اذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة .

واما وظائف المجالس الخصوصية ومجالس النواب فليس من خصائصها الا المذاكرات والمداولات وعمل القرارات على ما تستقر عليه الاراء الأغلبية وتقديم ذلك لولىّ الأمر وكذلك من خصوصيات ولي الأمر نشر القوانين واجراء مفعولها من يوم نشرها

ومن المزايا الملوكية مايسمى حق الصفح عن الجانين او تخفيف جزاء هذه الجناية فان العظيم يعفو عن الذنب العظيم وأن يقبل توبة من يتوب وهذه المزية الجليلة لائقة بما ينبغي ان يكون عليه الملك من الرأفة والرحمة والحلم فان الحلم يجب ان يكون من الأوصاف الذاتية للملوك وان حدث في الرعية حادث فليتداركه بلطفه وتدبيره لئلا يتسع الخرق على الراقع فان اصابهم خلل في أمر المعيشة من الطعام والشراب والكسوة والدواب أو في الذهب والفضة فانه يوسع عليهم ويعطيهم ما يحتاجون اليه بثمن عدل فهذا هو الملك العظيم العادل

وفي الحديث الشريف . الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وقيل في هذا المعنى

ان كنت لا ترحم المسكين ان عدما
ولا الفقير اذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن رحمته
وانما يرحم الرحمن من رحما

وقال آخر

ابغ للناس من الخير ركما تبغي لنفسك
وارحم الناس جميعا انهم ابناء جنسك

واما الرعية فهم طبقات متباينة فينبغي للملك ان يحسن تربية رعيته على اختلافهم ويهذب اخلاقهم بالاداب الحسنة وأن يحمل ارباب الزراعة والتجارة والعمارة على تأدية حرفهم وينهاهم عن استنفاد الذهب والفضة فيما لا يحل كالأواني والأطواق واللجم والمناطق لئلا يضيق عليهم امر المعاش وينبغي ان يشوق المحترفة بالعطايا والمكافآت حتى يتسابقون الى تكثير مصنوعاتهم وهكذا كل طبقة

ثم انه لا ينتخب الوظائف المهمة الا من كان جامعا للخصال المحمودة حسن الخلق والخلق يجمع بين البشاشة

والوقار والحلم والهيبة والعفة والنزاهة وعزة النفس وسداد الرأي وحسن التدبير وسرعة الفهم والعلم بالأمور السياسية والقوانين الملكية والوقوف على احوال المسالك والممالك وما بينهما من العلاقات والروابط وان يكون معروفاً بالصدق والوفاء له خبرة بكتابة الأنشاء والمحاسبات زكي الفطنة سريع الجواب كثير الصواب متيقظاً في تدبير الدولة العادلة معمراً للجهات والنواحي والأعمال مثمراً لاصناف الأموال وتحصيل الغلال مقتصداً في وجوه صرفها ونفقتها

قالت الحكماء يجب ان يكون الوزير مثل المرأة التي لها وجهان ينظر بوجه منهما الى الله تعالى وبالآخر الى الرعية لأن موضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس

ومثل الوزير في ذلك سائر رؤساء المملكة فأنهم جميعاً كالراعي الذي استؤجر لحفظ الأغنام فاذا حفظوها استحقوا الأجرة وان ضيعوها أخذوا بالغرامة وحبسوا في سجن الملامة وخسروا الدنيا والآخرة

وبالجملة فعلى ولي الأمر ان يجتهد حتى يرضى عنه جميع

رعيته وأن ينزل نفسه منزلتهم وكل مايحبه لنفسه يحبه لهم وعليهم الطاعة الكاملة له لقوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)

وروي عن الحسن عن بن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله في الأرض اذا كانوا عدولا

فالملك المرزوق بموظفين متصفين بهذه الخصال المحمودة هو الذي يتجمل به الزمان ويرضى عنه الرحمن

وصية الحكيم لقمان لابنه

من وصية الحكيم لقمان لابنه يابني كن على حذر من اللئيم اذا اكرمته ومن الكريم اذا اهنته ومن العاقل اذا هجوته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الجاهل اذا صاحبته ومن الفاجر اذا خاصمته وتمام المعروف تعجيله. يابني ثلاثة اشياء تحسن بالأنسان حسن المحضر واحتمال الأخوان وقلة الملل للصديق واول الغضب جنون وآخره ندم. يابني ثلاثة فيهم الرشد: مشاورة الناصح ومداراة العدوّ والحاسد والتحبب

لكل احد يابني المغرور من وثق بثلاثة اشياء الذي يصدق ما لا يراه ويركن الى من لا يثق به ويطمع في ما لا ينـاله . يابنيّ احذر الحسد فأنه يفسد الدين ويضعف النفس ويعقب الندم . يابنيّ ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه يا بنيّ اذا خدمت والياً فلا تتم اليه بأحد فانه لا يزيده ذلك منك الا نفوراً فاذا سمع منك في غيرك فأنه لا بد أن يسمع من غيرك فيك ويكون قلبه خائفاً منك أن تتم عليه كما نممت اليه بغيره ولا يزال محترساً منك وكن يا بنيّ أقرب الناس اليه عند فرحه وأبعدهم منه عند غضبه وان ائتمنك فلا تخنه وان انالك يسيرا فخذه واقبله فتبلغ بهأن تنال كثيراً واكرم خدمه والطف بأصحابه وغض طرفك عن محارمه وأصم أذنك عن مجاوبته وأقصر لسانك عند حديثه واكتم في المجالس سره واتبع باللطف هواه وناصح في خدمته واجمع عقلك في مخاطبته ولا تأمن الدهر من غضبه فانه

ليس بينك وبينه نسب والغضب يسرع اليه في كل وقت ووثبته كوثبة الاسد . يا بنيّ كتمان السر صيانة للعرض . يا بنيّ ان أردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء فان المرأة حرب ليس فيها صالح وهي ان أحبتك أكلتك وان ابغضتك أهلكتك انتهى

المعروف وقضاء الحوائج

قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال عليه الصلاة والسلام من مشي في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وعن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه انفعهم لعياله (ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى) وقال عليه الصلاة والسلام خير الناس أنفعهم للناس وقال ايضاً من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يقم بتلك المؤنة عرض النعمة للزوال وقيل:

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها

ولا تجود يد الا بما تجد

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون مايقول الأسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يارسول الله فأي الأعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرض الله له سروراً دون الجنة

ومن كلام الحكماء اذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر فانه لايفكر الا في خير واذا سألت لئيماً حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه ان لايفعل وقال علي رضي الله عنه انتهزوا الفرصة فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا اثراً بعد عين وقال كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه ايضاً قال لاتكثر على اخيك الحوائج فان العجل اذا افرط في مص ثدي أمه نطحته

المشورة والنصيحة

قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (وشاورهم في الأمر) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد امراً شاور فيه الرجال ليستن به المسلمون وان كان في غنية عن مشورتهم وقال عليه الصلاة والسلام ماخاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة واما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور . واما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور

وقيل ينبغي ان يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأي ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لحوح وقال افلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك ومما جاء في النصيحة ان الله تعالى قال اخباراً عن نوح عليه السلام

(ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن انصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون)

وقال صالح عليه السلام(ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)وروي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم . واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا أولو العزم

اخوان الصفاء

اخوان الصفاء خير من مكاسب الدنيا هم زينة في الرخاء وعدة في البلاء ومعونة على الأعداء وانشد ابن الأعرابي

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة

ولكن اخوان الصفاء الذخائر

ومما يجب للصديق على الصديق النصيحة جهده فقد قالوا صديق الرجل مرآته يريه حسناته وسيئآته وخير الأخوان

من أقبل عليك اذا أدبر الزمان عنك وقيل لبعض الولاة كم صديقاً لك قال لا أدري الدنيا مقبلة عليّ والناس كلهم أصدقائي وانما اعرف ذلك اذا أدبرت عني

وقالت الحكماء مما يجب للصديق على الصديق الاغضاء عن ذلاته والتجاوز عن سيآته فان رجع واعتب والا عاتبته بلا اكثار فان كثرة العتاب مدرجة للقطيعة وقال عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه لا تقطع اخاك على ارتياب ولا تهجره دون استعتاب .وقال بيشار العقيلي

اذا انت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وقالوا معاتبة الأخ خير من فقده

اذا ذهب العتاب فليس ود
ويبقى الود ما بقي العتاب

وقال اكثم بن صيفي القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة

وقال حبيب الطائي

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم
ووضعت ما وضعوا من الأسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعاً
واذا المودة أقرب الأنساب

وقالت الحكماء رب أخ لك لم تلده امك ورب بعيد اقرب من قريب وفي الحديث . أحب الناس الى الله اكثرهم تحبباً الى الناس

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص ان الله اذا أحب عبداً حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك

وسئل حماد الراوية عن الحب ما هو قال الحب شجرة أصلها الفكر وعروقها الذكر وأغصانها السهر وأوراقها الأسقام وثمرتها المنية قال عليه الصلاة والسلام لا تقطع من كان يواصل اباك تطفيء بذلك نوره فان ودّك ودّ ابيك وقال ابو بكر الحب والبغض يتوارثان

صدق الوعد

قال عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق وصدق الوعد ثلث الأيمان وما ظنك بشيء جعله الله مدحة في كتابه وفخراً لأنبيائه فقال تعالى (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد)

وقال ابن ابي حاتم

اذا قلت في شيء نعم فأتمه

فأن نعم دين على الحر واجب

والا فقل لا تسترح وترح بها

لئلا يقول الناس انك كاذب

ولو لم يكن في خلف الوعد الا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) لكفى وقفت امرأة على قيس ابن سعد ابن عبادة فقالت اشكو اليك قلة الجرذان في بيتي فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً

القضاء والرشوة

قال الله تعالى (يادواود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) وقال عليه الصلاة والسلام من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله . وادعى رجل على عليّ عند عمر رضي الله عنهما وعليّ جالس فالتفت عمر اليه وقال يا أبا الحسن قم فلتجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع عليّ الى مجلسه فتبين لعمر التغيير في وجه عليّ فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيراً أكرهت ما كان قال نعم قال وما ذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا عليّ قم فاجلس مع خصمك فأخذ عمر برأس عليّ رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنتم بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات الى النور

ومن كلام كسرى لا ملك إلا بالجند ولا جند إلا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد إلا بالرعايا ولا رعايا إلا بالعدل فالعدل أساس الملك

أما الرشوة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي وقال عمر ابن الخطاب لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل في دين الله الرشا وفي نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الباطل والرشوة ربما تحمل الأنسان على الأستدانة وقد قال بعض الحكماء الدّين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا اراد الله ان يذل عبداً جعله طوقاً في عنقه

وعن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوي أن لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان ديناً ينوي أن لا يقضيه فهو سارق

واستقرض من الأصمعي خليل له فقال حباً وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه فقال

يا أبا سعيد أما تثق بي قال بلى وأن خليـل الله كان واثقاً بربه وقد قال له ولـكن ليطمئن قلبي

كتمان السر والصمت

قال الله تعـالى عن يعقوب عليه السـلام يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك (الآية) فلما افشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد أمرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ماحل وقال عليـه الصلاة والسـلام استعينوا على قضاء حوائجكم بالـكتمان فأن كل ذي نعمة محسود وقال عليّ رضي الله عنه سرك أسيرك فاذا تـكلمت به صرت أسيره وقال عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه اقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره

وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زاد ضياعاً وقيل أيضاً كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكان عمر بن الخطاب يقول ما أفشيت

سري الى أحد قط وقال الشاعر

اذا المرء افشى سره بلسانه

ولام عليه غيرَه فهو احمق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

فصدر الذي يستودع السر أضيق

ويقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة ان يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الأسرار

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

يموت المفتى من عثرة بلسانه

وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمي برأسه

وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

وقال بعض الحكماء حظي من الصمت لي ونفعه مقصوراً عليّ وحظي من الكلام لغيري ووباله راجع عليّ

الظلم

الظلم هو ضد العدل والعدل وضع الشيء في محله وايصاله الى مستحقه وبه قوام الدنيا والدين

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال جل شأنه ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال عليه الصلاة والسلام من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم خرج من الاسلام وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وإياك ودعوة المظلوم فأنما يسأل الله تعالى حقه وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره وكان معاوية يقول اني لاستحي ان اظلم من لا يجد عليّ ناصراً الا الله وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله وروى عن انس رضي الله عنه قال بينما امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعد اذ جاءه رجل من اهل مصر فقال يا امير امؤمنين هـذا مقام العائذ بك فقال عمر لقد عزت بمجير فما شأنك فقال سابقت

بفرسي ابناً لعمرو بن العاص وهو يومئذ امير على مصر فجعل يضربني بصوته ويقول انا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا اباه فخشي ان آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه وآتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا اتاك كتابي هذا فاشهد الموسم انت وولدك فلان وقال للمصري اقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال انس رضي الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهي ان يضربه فلم ينزع حتى احببنا ان ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا امير المؤمنين قد استوفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال اما والله لو فعلت ما منعك احد حتى تكون انت الذي تنزع ثم اقبل على عمرو ابن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول اني لم اشعر بهذا

وقيل لما ظلم أحمد بن طولون قبل ان يعدل استغاث الناس

من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت يا أحمد يا بن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه واخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فظلمتم وردت اليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها واكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فأن بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فعدل لوقته

وقال عليه الصلاة والسلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فيتعين على كل ولي أمر ان يعدل في الأحكام وأن يتبصر في رعيته وان يكف عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم ان الله يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا بنبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الامام العادل فاني أرجو ان لا اجور واما الشهادة فأني لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيداً حكما عدلاً

(الغيبة والنميمة)

الغيبة هي ذكرك الانسان بما يكره ولو بما فيه سواء كانت في دينه او بدنه او خلقه او ولده او غير ذلك مما يتعلق به فهي من اقبح القبائح واكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل منهم وقال ابن عباس اذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان تذكر به ودع منه ما تحب ان يدع منك وقال الحسن البصري لا غيبة في ثلاثة فاسق مجاهر وامام جائر وصاحب بدعة لم يدع بدعته

روى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايا كم

والغيبه فان الغيبة اشد من الزنا ثم قال ايضا ان الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبها وقال الاحنف فيّ خصلتان لااغتاب جليسي اذا غاب عني ولا ادخل في امر قوم لا يدخلوني فيه واول من اغتاب ابليس لعنة الله اغتاب آدم عليه السلام واوحى الله الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان اصر فهو اول من يدخل النار

واما النميمة فقال الامام الغزالي رحمة الله عليه تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه فينبغي للانسان ان يسكت عن كل ماراه من احوال الناس الا مافي حكايته فائدة لمسلم او دفع معصية وينبغي لمن حملت اليه نميمة ان لايصدق من نم اليه لان النمام فاسق وقد لعن الله الفاسقين

وقد قال تعالى (ياأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) وان لايظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى (اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم) فكم دم اراقه سعي

ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من محبين افترقا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار ان يصغى لساع او يستمع لنمام

وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق ومن الناس من يتلون الوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها

وروي ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لي سراً ولا تشتم لي عرضاً ولا تقبل فيّ قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فماذا لي عليك قال لا أفشي لك سراً

ولا ادخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك احداً قال نعم الصاحب المستصحب انت

الحسد

الحسد هو تمني المرء زوال مافي ايدي غيره من النعمة قال الامام علي رضي الله عنه لا راحة لحسود ولا أخاء لملول ولا محب لسيء الخلق. ويقال الحسد أول ذنب عصى الله به في السماء وأول ذنب عصى الله به في الارض فأما في السماء فحسد ابليس لآدم واما في الارض فحسد قابيل هابيل وقال بعض اهل التفسير في قوله تعالى (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) انه اراد بالذى من الجن ابليس والذي من الانس قابيل وذلك ان ابليس اول من سن الكفر وقابيل أول من سن القتل وانما كان اصل ذلك كله الحسد

وقال ابو العتاهية

يا رب أن الناس لا ينصفوني

وكيف ولو أنصفتهم ظلموني

وان كان لي شيء تصدوا لأخذه

وان جئت ابغي منهمُ منعوني

وان نالهم بذلي فلا شكر عندهم

وأن أنا لم أبذل لهم شتموني

وأن طرقتني نقمة فرحوا بها

وان صحبتني نعمة حسدوني

سأمنع قلبي أن يحن اليهم

وأحجب عنهم ناظري وجفوني

وسئل بعض الحكماء أي أعدائك تحب ان يعود لك صديقاً قال الحاسد الذي لا يرده الا زوال نعمتي

وكانت عائشة رضي الله عنها تتمثل بهذين البيتين

اذا ما الدهر جر على اناس

حوادثه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

العفو والحلم

قال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف (المعروف)وأعرض عن الجاهلين) وقال جل شأنه (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقال تعالى (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) وقال رجل لابي بكر رضي الله عنه والله لاسبنك سباً يدخل القبر معك قال معك يدخل لا معي . وشتم رجل الشعبي فقال له ان كنت صادقاً فغفر الله لي وان كنت كاذباً فغفر الله لك . ومر سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً فقال خيراً فقيل له انهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً فقال كل واحد ينفق مما عنده

وقال الشاعر

ليست الاحلام في حين الرضا

وانما الاحلام في حين الغضب

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصوراً مشرفة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

وقال عليّ كرم الله وجهه اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه وقال ايضاً اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى ذلة ستر وليس من عادة الكريم سرعة الغضب والانتقام وقال الحسن المؤمن حليم لايجهل وان جهل عليه وتلا قوله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقال معاوية اني لاستحي من ربي أن يكون ذنب اعظم من عفوى وجهل اكبر من حلمي او عورة لا أواريها بستري قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حلمك على السفيه يكثر انصارك عليه وقال

الاحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وقال رب غيظ تجرعته مخافة ما هو اشد منه وانشد

رضيت ببعض الذل خوف جميعه
كذلك بعض الشر أهون من بعض

وأحسن بيت في الحلم قول كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنى
اصبت حليما او اصابك جاهل

وقال الجعدى

ولا خير في حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

واحضر الى الهادي رجل من اصحاب عبدالله بن مالك فوبخه على ذنب فقال ياأمير المؤمنين ان اقراري يلزمني ذنبا لم افعله ويلحق بي جرما لم اقف عليه وانكارى رد عليك ومعارضة لك ولـكني اقول

فان كنت تبغي بي العقاب تشفيا
فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فقال لله درك من معتذر بحق او باطل ما أمضى لسانك وأثبت جنانك وعفى عنه

وحكى عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان غلاماً له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطشت فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعال وقال بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف

وتاب عما قد جناه واقترف

لقوله قل للذين كفروا

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

واشعر بنت قيل في الحلم

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا

أصبت حليماً أو اصابك جاهل

ويروى في بعض الاخبار ان ملكاً من الملوك أمر ان يصنع له طعام وأحضر قوماً من خاصته فلما مدوا السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من ورق الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال يا أيها الملك انما صنعت هذا شحاً على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة فأطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال يا قبيح الفعل يا حسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فانت حر لوجه الله تعالى

فيجب على الانسان أن يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد

كان اكثر الناس حلماً وأحسنهم خلقاً واكثرهم تجاوزاً وصفحاً .قال تعالى: وانك لعلى خلق عظيم

البيان والبلاغة والفصاحة

البيان هو اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى حتى يتأدى الى الفهم ويتقبله العقل وهو ترجمان القلوب وصيقل العقول والمفرق بين الشك واليقين فذلك البيان الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث قال (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقال عليه الصلاة والسلام: إن من البيان لسحرا

وأما البلاغة فهي حسن الاشارة واختيار الكلام مع عذوبة اللفظ ورشاقة المعنى قيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من ابلغ الناس فقال أقلهم لفظاً وأسهلهم معنى واحسنهم بديهة وقال البحتري خير الكلام ما قلّ وجلّ ودلّ ولم يُمَلّ

واما الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد واكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم

بينهما ويزعم البعض ان البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح

وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر وملك زمام الامور بها في عهد ملكها الريان بن الوليد فاطلعه هذا الملك على الخفي من امره والمستور وقال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاماً فصيحاً فقال بارك الله لك يا عم في فصاحتك فالانسان يعرف حاله من منطقه وقال معاوية ما رأيت ابلغ من عائشة رضي الله عنها ما أغلقت باباً فارادت فتحه الا فتحته ولا فتحت باباً فارادت اغلاقه الا اغلقته

وحكى بن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولى عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه ان صداق فاطمة رضي الله عنها على علي كرم الله وجهه

اربعمائة درهم فادى اجتهاد امير المؤمنين ان لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على اربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس ان يكلموه فقامت امرأة فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احدهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) فقال عمر رضي الله عنه امرأة أصابت ورجل اخطأ (فما أجمل الاقرار بالحق فانه جميل)

وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين أن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين أن هذه المرة تشكو زوجها في أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب علي بزوجها فأحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك فقال أفي امر طعام ام شراب قال بل في امر مباعدتك إياها عن فراشك وبعد سماع قولهما قال ان الله تعالى احل لك من

النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا أدري من ايكم اعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة

حكم ومواعظ

قال عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت وقال ايضاً لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم

وكتب فيلسوف لتلميذه يقول ان مجاورة رجال السوء والمصاحبة لهم كراكب البحر فان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف فاذا هو اورد نفسه موارد الهلكات ومصادر المخوفات عد من الحمير التي لا نفس لها لأن الحيوانات البهيمية قد خصت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى به المكروه وذلك اننا لم نرها تورد أنفسها مورداً فيه هلكتها وانها متى اشرفت على مورد مهلك لها مالت

بطبائعها الى النفور والتباعد عنه وان السباحة في الماء مع التمساح تغرير والذئب فيه لمن دخل عليه في موضعه . والذي يستخرج السم من ناب الحية فيتلمه ليجربه على نفسه فليس الذئب للحية . ومن دخل على الاسد في غابته لم يأمن وثبته وقال الاحنف بن قيس من تسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ومكتوب في التوراة اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فالحكمة كنز لا يفنى وقال احد الملوك ان كان للملوك فضل في مملكتها فان للحكماء فضلا في حكمتها أعظم لأن الحكماء اغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال وقد وجدت العلم والحياء إلفين متآلفين لا يفترقان متى فقد احدهما لم يوجد الآخر كالمتصافيين ان عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفساً بالبقاء بعده تأسفاً عليه ومن لم يستح من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ويصونهم عن مواقف المهانة وينزهم عن المواطن الرذيلة كان ممن حُرِم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء حقوقهم وعد من الجهال

قال فيلسوف اني وجدت الأمور التي اختص بها الأنسان من بين سائر الحيوان اربعة اشياء وهي الحكمة والعفة والعقل والعدل. والعلم والأدب والروية داخلة في باب الحكمة. والحلم والصبر والوقار داخلة في باب العقل. والحياء والكرم والصيانة والانفة داخلة في باب العفة. والصدق والأحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة في باب العدل وهذه هي المحاسن واضدادها هي المساوي وقد قالت العلماء الزم السكوت فان فيه سلامة وتجنب الكلام الفارغ فان عاقبته الندامة . ومن قنع شبع وكل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع . واذا ذهب الحياء حل البلاء ومن جهل المرء ان يعصي ربه في طاعة هواه . لا يكمل للأنسان دينه حتى يكون فيه اربع خصال وهي ان يقطع رجاءه مما في ايدي الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله . أفضل المعروف اغاثة الملهوف شر الناس من ينصر الظالم ويخذل المظلوم . جرح الكلام اصعب من جرح الحسام . من دام كسله خاب امله . من تواضع

لله رفعه — سئل الحسن عن التواضع فقال هو ان تخرج من بيتك فلا تلقى احد الا رأيت له الفضل عليك وقالت الحكماء كل نعمة يحسد عليها الا التواضع

وحكي ان اربعة من الحكماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل بكلام يكون اصلا الأدب فقال احدهم افضل خلة العالم السكوت وقال الثاني ان من أنفع الأشياء للانسان ان يعرف قدر منزلته من عقله وقال الثالث انفع الأشياء الانسان ان لا يتكلم بما لا يعنيه وقال الرابع اروح الامور على الانسان التسليم للمقادير

واجتمع في بعض الزمان ملوك الأقاليم من الصين والهند وفارس والروم وقالوا ينبغي ان يتكلم كل واحد منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر فقال ملك الصين انا على ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم تنفعه وان كانت عليه أوبقته وقال ملك فارس انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم اتكلم بها ملكتها وقال ملك الروم ماندمت على ما لم اتكلم به قط ولقد

ندمت على ما تكلمت به كثيراً فالحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغي ان تكون في الملوك الغضب والبخل والكذب وعدم الرفق فان السفه ليس من شأنها

وقالت الحكماء ان الملوك لها سكرة وكذلك الشباب فالملوك لا تفيق من السكرة الا بمواعظ العلماء وآداب الحكماء والواجب على الملوك ان يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك ألسنتها وتأديبها بحكمتها واظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل كالطبيب الذي يجب عليه في صناعته حفظ الاجساد على صحتها وفي بعض الامثال انه لم يبلغ احد مرتبة الا باحدى ثلاث اما بمشقة تناله في نفسه واما بوضيعة في ماله او وكس في دينه ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب فالدنيا كالماء الملح الذي لا يزداد شاربه شرباً الا ازداد عطشاً فهي بلاء وعذاب والانسان يتقلب في عذابها من حيث يكون جنيناً الى ان يستوفي ايام حياته

الامثال

اعلم ان الأمثال من اشرف ما تحلى بها كتاب وقد نطق كتاب الله تعالى وهو اشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام النبي صلى الله عليه وسلم عنها وهو افصح العرب لسانا واكملهم بيانا فقال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فما جرى مجرى الأمثال من الآيات الشريفة قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. الآن حصحص الحق . قضى الامر الذي فيه تستفتيان . اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم . قل كل يعمل على شاكلته . وعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . ما على الرسول الا البلاغ . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . ما على المحسنين من سبيل . هل جزاء الاحسان الا الاحسان. لا يكلف الله نفساً الا وسعها . لا يستوي الخبيث والطيب. اعلموا أن الله شديد العقاب . وان الله غفور رحيم . وما ربك بغافل عما تعملون . من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها . فاعتبروا يا أولي الأبصار . وانه لقسم لو تعلمون عظيم

كل نفس ذائقة الموت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى . نية المرء خير من عمله . آفة العلم النسيان. من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . من مات غريباً مات شهيداً . يد الله مع الجماعة . الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق . من غشنا فليس منا . الحياء شعبة من الايمان. ابدأ بنفسك ثم بمن تعول . الوحدة خير من الجليس السوء. استعينوا على الحوائج بالكتمان . انتظار الفرج عبادة

وقالت العرب انك لا تجني من الشوك العنب . وان لم يكن وفاق ففراق . اذا حان القضاء ضاق الفضاء . آفة المروءة خلف الموعد . اتق شر من تحسن اليه. الناس اخوان. ترك الذنب أيسر من طلب التوبة . استراح من لا عقل له. رب اخ لك لم تلده أمك . سبق السيف العذل . الظلم مرتعه وخيم . عند الامتحان يكرم المرء او يهان . أقلل طعامك يحمد منامك . كل أناء يرشح بما فيه . ليس الخبر كالعيان . ماحك جلدك مثل ظفرك . هذه بتلك والبادي أظلم

وقالت العامة أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية. الحاجة تفتق الحيلة. الحاوي لا ينجو من الحيات. الشاه المذبوحة لا يؤلمها السلخ. الغائب حجته معه. الخضوع عند الحاجة رجولية. الناس اتباع لمن غلب. تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالأجانب. ثمرة العجلة الندامة. سفير السوء يفسد ذات البين. فم يسبح وقلب يذبح. من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً غش القلوب يظهر في فلتات الألسن وصفحات الوجوه. عناية القاضي خير من شاهدي عدل

الامثال من الشعر

الا كل شيء ماخلا الله باطل — وكل نعيم لا محالة زائل

اذا جاء موسى والقى العصا — فقد بطل السحر والساحر

حياك من لم تكن ترجو تحيته — لولا الدراهم ماحياك انسان

سروري لن تبقي بخير ونعمة — واني من الدنيا بذلك قانع

شفيعي اليك الله لا رب غيره — وليس الى رد الشفيع سبيل

فما اكثر الاصحاب حين تعدهم — ولكنهم في النائبات قليل

كل المصائب قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الاعداء

لكل امرء حالان بؤس ونعمة ... واعطفهم في النائبات اقاربه

هناكم الله بالدنيا ومتعكم ... بما نحب لكم منها ونرضاه

واذا اتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

ومن عاش في الدنيا فلا بد ان يرى ... من العيش ما يصفو وما يتكدر

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة ... يواسيك او يسليك او يتوجع

لا يسكن المرء في ارض يهان بها ... الا من العجز او من قلة الحيل

يفارقني من لا اطيق فراقه ... ويصحبني في الناس من لا أريده

يهون علينا ان تصاب جسومنا ... وتسلم اعراض لنا وعقول

فيوم علينا ويوم لنا ... ويوم نساء ويوم نسر

نوادر العرب

خرج المهدي يتصيد فوقف فرسه عند بيت اعرابي فقال يا اعرابي هل من قِرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم اخرج فضلة من لبن فسقاه فلما شرب قال أتدري من أنا قال لا قال انا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله

لا في موضعك ثم سقه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابي
[illegible] أنا قد رأيت انك من خدم أمير المؤمنين الخاصة
[illegible] من غلمان أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب
مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابي تدري من أنا
قال زعمت انك من غلمان امير المؤمنين قال لا تحكي امير
المؤمنين فأخذ الاعرابي الركوة فركلها وقال ذاك على قوله
لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدي
حتى غشي عليه ثم احاطت به الخيل ونزلت اليه الاشراف
فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم
امر له بكسوة ومال جزيل

وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله
لأبددن شمله بالاسفار . وسمع اعرابي قارئا يقرأ القرآن
حتى اتى على قوله تعالى الاعراب اشد كفراً ونفاقاً فقال
لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن
بالله واليوم الاخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال
شاعرنا

هجوت زهيراً ثم اني مدحته

وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابي على مائدة يزيد فقال لاصحابه افرجوا لاخيكم فقال الاعرابي لا حاجة لي بافراجكم ان اطنابي طوال (يعني سواعده) فلما مد يده ضرط فضحك يزيد وقال يا أخا العرب أظن أن طنباً من اطنابك قد انقطع

سرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج

صلى اعرابي مع قوم فقرأ الامام قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فقال الاعرابي اهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك .

صلى اعرابي خلف امام فقرأ الامام الم نهلك الاولين وكان في الصف الأول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نُتْبِعُهُم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان

اسم البدوي مجرماً فترك الصلاة وخرج هارباً وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يا مجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين واراد ان يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم

وحكي الاصمعي ان عجوزاً من الأعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذاً فسقوها قدحاً فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحاً آخر فأحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثاً فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف اباه

صلى اعرابي خلف امام فقرأ فان ابرح الأرض حتى يأذن لي ابي ووقف وجعل يرددها فقال الأعرابي يافقيه اذا لم يأذن لك ابوك في هذا الليل نظل نحن وقوفاً الى الصباح ثم تركه وانصرف

انفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين

فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجني الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره في قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه في لحيتك اجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته

مر رجل أشمط بأمرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان فيّ عيباً قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكني أحببت ان اعلمك اني اكره منك مثل ما تكره مني فأنشد

عريت من الشباب وكنت غصناً ... كما يعرى من الورق القضيب
وحنت على الشباب بدمع عيني ... فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوماً ... فأخبره بما فعل المشيب

وقال الجاحظ

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

أدعى رجل النبوة في ايام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فأي شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال اريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغ هذه الصورة الحسنة وانما أجعل اصحاب هذه اللحي مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة

وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخاً في هـذه الساعة قال أمهلني ثلاثة ايام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فما تصبر انت عليّ ثلاثة ايام فضحك منه ووصله

خاتمـــه

رأيت أن اختم رسالتي هـذه بنبذة صغيرة في الدين فالدين هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقال عليه الصلاة والسلام بني الأسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد رسول الله . وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فهذه العقيدة قد اشتملت على احد اركان الاسلام الخمسة

الثانية الصلاة قال تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)وقال تعالى(ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)

فالصلاة رحمة من الله ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء وهي تقيم العبد على طاعة الله وتنهاه عن خلافه قال تعالى (أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الأيمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن

وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه

الثالثة الزكاة وهي صدقة تؤخذ من أموال الاغنياء وترد على الفقراء جعلها الله طهراً للاموال قال تعالى (واقيموا الصلاة وآتو الزكاة) ولا يقبل الله صدقة الا من كسب طيب لقوله تعالى (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم) وقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال عليه الصلاة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة وقالت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت ما لا قط الا أهلكته وقال عليه الصلاة والسلام تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله عنكم ضركم وينصركم على عدوكم وقال عيسى عليه الصلاة والسلام من رد سائلاً خائباً تغشى الملائكة ذلك البيت سبعة ايام

وقال الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في

نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

الرابعة الصوم وهو لغة مطلق الأمساك وشرعاً الأمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية من أهله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل)

وقالت عائشة رضي الله عنها ان قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان وقال عليه الصلاة والسلام من شاء فليصمه ومن شاء أفطر

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقال

عليه الصلاة والسلام مخبراً عن ربه عز وجل . كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا اجزى به

الخامسة الحج قال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنيّ عن العالمين) وقال تعالى الحج اشهر معلومات وقال ابن عمر رضي الله عنه اشهر الحج شوّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وعن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه

وعن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل افلا نجاهد قال لا لكن افضل الجهاد حج مبرور وقيل للحسن ما الحج المبرور قال ان ترجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة

وعن ابي هريرة قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي

الأعمال افضل قال ايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور

وقال عمر رضي الله عنه شدوا الرحال في الحج فانه احد الجهادين .

بني آدم عليه الصلاة والسلام البيت وقال يارب أن لكل عامل أجراً فما اجر عملي قال اذا طفت به غفرت لك ذنبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولأولادك قال يارب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبي انتهى

اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واغفر لنا وارحمنا برحمتك فأنت رجاؤنا يا الله

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤١	٤	انما	انتما
٦٣	٨	بيشار	بشار
٦٤	٢	ووضعت ماوضعوا	ووصفت ما وصفوا
٧٠	٧	واياك	اياك
٨٥	١٢	المرة	المرأة
٩٠	٨	بألسنتهاوتأديبهابحكمتهما	بألسنتهاوتأديبهابحكمتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مرشدنا وهادينا الى خير اديان البرية دينا والصلاة والسلام على من اوتى الحكمة وفصل الخطاب المنزل عليه ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب نبى خصه الله بطهارة الاعراق وارسله لتتميم مكارم الأخلاق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه واصهاره وانصاره وحزبه (وبعد) فقد اطلعنا على كتاب التحفة البهية في الآداب والاخلاق المرضية لحضرة جامعه الفاضل السيد بك عزمي فوجدناه سفرا اسفر عن مكارم الأخلاق وجليل الحكم وجميل الآداب واشرف الصفات مع حسن العبارة ومتانة الأسلوب وتمام المناسبات مما دل على طول باع حضرة المؤلف وغزارة مادته وكرم أخلاقه وشدة رغبته فى نشر الفضيلة بين بنى نوعه كما انتفع بمؤلفاته العديدة النافعة جميع طلاب العلم بالمدارس الأميرية وغيرها نفع الله به وبمؤلفاته وأطال أجله فى طاعة الله وخدمة أمته ومنحه صحة وعافية وتمام رفاهية

كتبه	كتبه	كتبه
فريد الضرغامي	احمد الخلاوى	محمد عبود الدروى
عالم ومدرس	احد علماء الازهر	احد علماء الازهر
بالازهر	وناظر مدرسة	ومدرس به وبمدرسة
	عثمان باشا ماهر	عثمان باشا ماهر

﴿ بيان المواد التي اشتمل عليها هذا الكتاب ﴾

صفحة		صفحة	
٢	خطبة الكتاب ومقدمته	٥١	ولاة الامور
٤	التقوى	٥٧	وصية الحكيم لقمان لابنه
٥	العلم والأدب	٥٩	المعروف وقضاء الحوائج
١١	العقل والذكاء	٦١	المشورة والنصيحة
١٥	السؤدد (الرياسة)	٦٢	اخوان الصفاء
١٨	تهذيب الأخلاق	٦٥	صدق الوعد
١٩	القناعة والرضا بما قسم الله	٦٦	القضاء والرشوة
٢١	الفضيلة	٦٨	كتمان السر والصمت
٢٣	المروءة	٧٠	الظلم
٢٦	الشجاعة	٧٣	الغيبة والنميمة
٣٠	الصبر	٧٦	الحسد
٣٢	التمكين	٧٨	العفو والحلم
٣٢	حب الوطن	٨٣	البيان والبلاغة والفصاحة
٣٥	الثروة	٨٦	حكم ومواعظ
٤٠	الجود والكرم	٩١	الأمثال
٤٢	المنافع العمومية واسباب المعايش	٩٤	نوادر العرب
٤٣	الاسفار من وسائل التقدم	١٠٠	خاتمة الكتاب
٤٨	السياسة		